حكم عمل في جماعة

بقلم: الدكتور عبد الله عزام

الطبعة: الأولى

نشر وتوزيع
مركز شهيد عزام الإعلامي
بيشاور-باكستان

حكم العمل في جماعة

من الأدلة على وجوب العمل في جماعة, ليتسنى للمرء القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله عزوجل:
1- (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)
(آل عمران: 301)
وحبل الله هنا: هو القرآن, ورواه علي, وأبو سعيد الخدري عن النبي ص, وعن مجاهد وقتاده (1) 1- أحكام القرآن لابن العربي (1/192). مثل ذلك والمعنى الحق الذي عليه رسول الله ص, وروي عن ابن مسعود أنه قال: هو الجماعة.
قال القرطبى(1):ـ 1- تفسير القرطبي (4/951). والمعنى متقارب متداخل فإن الله تعالى يأمر بالألفة, وينهى عن الفرقة, فإن الفرقة هلكة, والجماعة نجاة, ورحم الله ابن المبارك حيث قال:
إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
قال الجصاص(1):ـ 1- أحكام الجصاص (2/413). هو أمر بالإجتماع, ونهي عن الفرقة الذي أمروا جميعا بلزومه والإجتماع عليه.
2- ومن الأدلة كذلك:
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

(المائدة: 2)
قال ابن كثير(1): 1- تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير لنسيب الرفاعي (1/484), وزاد المسير لابن الجوزي (2/672). يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر, وترك المنكرات, وهو التقوى, وينهاهم عن التناصر على الباطل, والتعاون على المآثم والمحارم.
وقال ابن جرير(1): 1- تفسير الطبري (6/66). وليعن بعضكم بعضا أيها المؤمنون على البر, وهو العمل بما أمر الله وهو التقوى: هو اتقاء ما أمر الله به باتقائه واجتنابه من معاصيه, وعلى هذا فقد أمر الله بالتعاون على أمر دينه, والأمر للوجوب.
وأي بر وأي خير أعظم من إعادة المجتمع المسلم الذي يقيم شريعة الله جميعها ويحيا من أجلها, وأي شر, وأي إثم أعظم من أن ي تر ك دين الله نهبة للناهبين, وحمى مستباحا لكل ظالم وطاغية, ولكل ضعيف مستضع ف.
إن ترك التعاون لإعادة دين الله إلى الوجود هو أكبر جريمة يرتكبها الناكصون على أعقابهم, المتقاعسون عن النفير لبناء هذا الدين من جديد, لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الفرائض التي ي تقرب بها إلى الله.
يقول الشوكاني(1):ـ 1- تفسير الشوكاني (فتح القدير 2/66). (إن م ن أخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه, وتعدى حدوده, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية, وأجل الفرائض الشرعية, ولهذا كان تاركه شريكا لفاعل المعصية, ومستحقا لغضب الله وانتقامه, كما وقع لأهل السبت, فإن الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل, ولكن ترك الإنكار عليهم, كما مسخ المعتدين فصاروا قردة وخنازير), والشوكاني يشير إلى الآيات القرآنية في الأعراف (461-661).
(وإذ قالت أمة منهم لم ت عظون قوما الله م هلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون, فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس

بما كانوا يفسقون, فلما ع ت وا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)
(الأعراف 461-661)
عن عكرمة(1) 1- أحكام القرآن للجصاص (2/913).
أن ابن عباس قال له: قد أعياني أن أعلم ما فعل الله بمن أمسك عن الوعظ من أصحاب السبت فقلت له: أنا أعرفك ذلك اقرأ الآية الثانية قوله تعالى (أنجينا الذين ينهون عن السوء) قال: فقال لي أصبت وكساني حلة.
قال الجصاص(1): 1- أحكام القرآن للجصاص (2/913).
فاستدل ابن عباس بذلك على أن الله أهلك م ن عمل السوء, ومن لم ينه عنه, فجعل الممسكين عن إنكار المنكر بمنزلة فاعليه من العذاب.
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فريضة بإجماع المسلمين
أجمع السلف والخلف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة يجب أن يقوم بها قسم من الأمة -في حالة وجود الدولة الإسلامية, والأمة المسلمة التي تعيش في إطار المجتمع المسلم الخاضع لشرع الله ومنهاجه- وإلا كانت الأمة كلها آثمة.
هذا في حالة قيام المجتمع المسلم, أما عند غيابه فيصبح الأمر بالمعروف فرض عين على كل مسلم ومسلمة.
ولقد اتفق الفقهاء أنه إذ اغت ص ب شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم حتى تخرج المرأة بغير إذن زوجها. وإذا س بيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب افتداؤها, ولو أتى على أموالهم جميعا . هذا في حالة اغتصاب شبر أو سبي امرأة فكيف إذا اغت صب دين الله وأ زيل من الوجود والشهود.
قال الجصاص في أحكام القرآن (4/451): (إن الله تعالى فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه, وبينه رسول الله ص في أخبار متواترة عنه فيه, وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبه).

وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (9/31): (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين, وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين, والمقصود الأكبر من فائدة بعث الرسل, وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه), والقدرة المشترطة هنا: في حالة الأمر بالمعروف, وتغيير المنكر باليد أو باللسان, ولكن هذا لا يعفي إنكار المنكر بالقلب مع المقاطعة وعدم الخلطة).

قال ابن عطية(1):ـ 1- تفسير القرطبي (6/352). (والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه, وأمن الضرر على نفسه, وعلى المسلمين, فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولايخالطه).

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب اللعنة من الله يقول الله عزوجل:

(ل ع ن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عص وا وكانو يعتدون, كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة : 87-97)

وهاتان الآيتان فيمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه و قلبه, أو أنكر بلسانه مع المخالطة, والمعايشة,والمؤاكلة.فلقد استحقوا اللعنة بالعصيان والإعتداء, وهو ترك النهي عن المنكر, وهذا الذي فسره قوله ص فيما رواه عنه ابن مسعود قال: قال ص: لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم, وواكلوهم, وشاربوهم وضرب الله قلوب بعضهم ببعض, ولعنهم على لسان داود, وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قال: فجلس رسول الله ص وكان متكئا فقال: والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذي(1): 1- عارضة الأحوذي (11/571). حديث حسن غريب وقد رأينا في قصة أصحاب السبت أن الله عزوجل مسخ الساكتين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الذين اعتدوا في السبت.

وفي صحيح مسلم(1): 1- مختصر صحيح مسلم (1/61) رقم(3). (عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ص قال: ما من نبي بعثه الله في أمة

قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب, يأخذون بسنته, ويقتدون بأمره, ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون, ويفعلون ما لاي ؤمرون, فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن, ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن, ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن, وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل .
وإذن فالأمر جد فلا بد من الجهاد باليد, أو باللسان, أو بالقلب, والجهاد بالقلب عملية إيجابية لها أثرها في واقع الحياة بالمقاطعة, والإعراض, وعدم التعاون, وهذه أدنى مرتبة الجهاد ولا يبقى بعدها من الإيمان حبة خردل.
وأقل درجات الإيمان الإنكار القلبي, الذي إن اتفقت عليه الأمة لا يظهر فيها فساد, ولا يطغى فيها غشوم, ولا يعلو فيها متجبر, وهذا المسمى بالعصيان المدني وفي صحيح مسلم(1): 1- مختصر صحيح مسلم (2/39) حديث رقم (9221). عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ص أنه قال: إنه ي ستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون, فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم, ولكن من رضي وتابع .
لا بد من الكراهية القلبية, والإنكار بأية وسيلة من وسائل الإحتجاج, وإن ترك الإنكار القلبي يخرج صاحبه من دائرة الإيمان.
وأبو حنيفة يرى ضرورة العمل الجماعي
والإلتقاء على رجل صالح
قال ابن المبارك: لما بلغ أبا حنيفة قتل إبراهيم الصائغ بكى حتى ظننا أنه سيموت, فخلوت به فقال: كان والله رجلا عاقلا , ولقد كنت أخاف عليه هذا الأمر.
قلت: وكيف كان سببه? قال: كان يقدم ويسألني وكان شديد البذل لنفسه في طاعة الله, وكان شديد الورع, وكنت ربما قدمت إليه الشيء فيسألني عنه ولا يرضاه ولا يذوقه, وربما رضيه فأكله, فسألني عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, إلى أن اتفقنا أنه فريضة من الله تعالى فقال لي: مد يدك حتى أبايعك فأظلمت الدنيا بيني وبينه, فقلت: ولم? قال: دعاني إلى حق من حقوق الله فامتنعت عليه وقلت له:إن قام به رجل وحده ق ت ل, ولم يصلح للناس أمر,

ولكن إن وجد عليه أعوانا صالحين ورجلا يرأس عليهم مأمونا على دين الله لا يحول. وكان يقتضي ذلك كلما قدم علي تقاضي العزيمة الملح, كلما قدم علي تقاضاني, فأقول له هذا أمر لا يصلح بواحد, ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء, وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض, لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده, وهذا متى أمر به الرجل وحده أشاط بدمه, وعرض نفسه للقتل, فأخاف عليه أن يعين على قتل نفسه, وإذا ق ت ل الرجل لم يجترئ غير ه أن يعرض نفسه, ولكنه ينتظر, وقد قالت الملائكة:
(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (البقرة: 03)
ثم خرج إلى مرو حيث كان أبو مسلم فكلمه بكلام غليظ, فأخذه, فاجتمع عليه فقهاء أهل خراسان وعبادهم حتى أطلقوه, ثم عاوده فزجره, ثم عاوده ثم قال: ما أجد شيئا أقوم به لله تعالى أفضل من جهادك, ولأجاهدنك بلساني, ليس لي قوة بيدي, ولكن أراني الله وأنا أبغضك فيه فقتله.
هذا قول أبي حنيفة وهو يؤكد على ضرورة العمل الجماعي من أجل القيام بفريضة الأمر بالمعروف.
أرأيت قوله(1):ـ 1- الجامع الصحيح الترمذي (11/38).
(ولكن إن وجد عليه أعوانا صالحين ورجلا يرأس عليهم مأمونا على دينه فلا يحول) أي يجب العمل معهم, فلا بد من قيادة صالحة مأمونة على دين الله وجند صالحين صادقين)(1)ـ 1- أنظر فتح الباري (9/832), وصحيح الترمذي (11/38).
(هذا أمر لايصلح بواحد,ما أطاقته الأنبياء حتى عقدت عليه من السماء وهذه فريضة ليست كسائر الفرائض لأن سائر الفرائض يقوم بها الرجل وحده).
يقول ابن تيمية في الفتاوى(82/721): (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب, وتارة باللسان وتارة باليد, فأما القلب فيجب بكل حال, إذ لا ضرر في فعله, ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن, كما قال النبي ص: وذلك أدنى -أو- أضعف الإيمان , وقال: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل, وقيل لابن

مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال:(الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا).
وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر, وإرادته لهذا, وكراهته لهذا موافقة لحب الله وبغضه, وإرادته وكراهته الشرعيين, وأن يكون فعله للمحبوب, ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته, فإن الله لايكلف نفسا إلآ وسعها, وقد قال: (فاتق--وا الل---ه ما ستط--عتم).
فأما حب القلب وبغضه, وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة, لايوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان, وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته, ومتى كانت إرادة القلب كاملة وكراهته كاملة تامة, وفعل العبد معها بحسب قدرته, فإنه ي عطى ثواب الفاعل الكامل.

فهم الصحابة والتابعين لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال: إني أعمل بأعمال الخير كلها إلآ خصلتين, قال: وما هما؟ قال: لا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر, قال عمر(1):ـ 1- أنظر فتح الباري (9/832), وصحيح الترمذي (11/38). (لقد طمست سهمين من سهام الإسلام إن شاء غفر لك, وإن شاء عذبك).
وقال الضحاك(1):ـ 1- تفسير الرازي مفاتيح الغيب (4/311). الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان من فرائض الله تعالى كتبهما الله عزوجل.
آيات حكيمة أ خر تدل على وجوب الأم ر بالمعروف والنهي عن المنكر:
1- قول الله عزوجل:
(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)
(البقرة: 341)
ومعنى الوسط هنا العدول والخيار والأفضلون, فهي أمة فاضلة, روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال:(عدلا)

حديث حسن صحيح(1)ـ 1- الجامع الصـحيح الترمـذي (11/38).
وفي التنزيل: (قال أوسـطهم) أي: أعـدلهم وخيرهـم. وقد جعلها الله فاضـلة لكـي تشـهد علـى النـاس لأن اللام هنا للتعليل.
إن هذه الأمة لها منزلة القيادة والريادة على البشرية.
وقد ألقى في يدها زمام قياد الإنسانية فهم ح ف ظ ة دينه, وحراس شريعته التي نزلت رحمـة للعـالمين إلـى يوم الدين, ولذا فهي مسئولة عن البشرية يوم القيامة في المحكمة الإلهية أنها بلغتهـا الرسـالة الخاتمـة, بـل لقد وردت الأحاديث الصـحيحة أنهـا شـاهدة علـى أمـم الأنبياء السابقين, أيضا روى البخاري في صحيحه عـن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللـه ص: ي دعـى نوح يوم القيامه فيقول: لبيك وسعديك يا رب, فيقول: هـل بلغـت؟ فيقـول: نعـم, فيقـال لأمتـه: هـل بلغكـم فيقولون: م-ا أتان-ا م-ن نذير, فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته, فيشـهدون أنـه قـد بلـغ -ويكـون الرسول عليكم شهيدا- فذلك قـوله عزوجـل: (وكـذلك جعلناكم أمة وسطا ...).
فعلـى الأمـة أن تعـي منزلتهـا, وتتبصـر الـواجب الـذي ألقاه الله على كاهلهـا, إنهـا واقفـة أمـام اللـه وقفـة الأنبياء, ومسئولة عن هدايـة البشـرية, ومحاسـبة عمـا قدمت تجاه الناس, إنها شهيدة, مسـتحف ظـه , مسـتأ منة على دين الله.
قال ابن زيـد(1):ـ 1- تفسـير الـرازي مفاتيـح الغيـب (4/311). الأشهاد أربعة :
1- الملائكة.
(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)
(ق: 12)
2- الأنبياء : (فكيف إذا جئنا من كل أمـة بشـهيد وجئنـا بك على هؤلاء شهيدا).
3- أمـة محمـد ص. (وجـئ بـالنبيين والشـهداء) (ويـوم يقوم الأشهاد).
4- الجوارح:
؛يـوم تشـهد علـيهـم ألسـنتهم وأيـديهم(1)ـ 1- أنظـر الإحكـام فـي أصـول الأحكـام للآمـدي (1/851), وأحكام الجصـاص (1/01). لقـد عـدل اللـه هـذه الأمـة

وجعلهم حجة على الناس في قبول أقوالهم, كما الرسول ص حجة علينا في قبول قوله علينا, فقول الأمة حجة على الناس في الدنيا, وهم شاهدون عليهم يوم القيامة.
وعدالة الأمة ثابتة في كل عصر, وهذا دليل على حجية الإجماع.
2- وهناك فئة أخرى من الناس تقول بصدق: أريد أن أعتزل الجماعة حتى أربي نفسي ثم أعمل مع الجماعة, ونحن نقول لهم:
أ- إن التربية لا تتم إلا في وسط الجماعة.
ب- إن التربية لا تتم إلا من خلال الحركة بهذا الدين, فالقرآن لا يفتح كنوزه ولا يعطي أسراره للقاعدين, فهذا الدين دين عملي لاي فهم من خلال الكتب والخلوات أو الإعتزال.
ج-إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة على كل مسلم, وتقصيره في حق نفسه لا يسوغ له تقصيره في هذه الفريضة, فأي منطق هذا أن يقال للمصلي الذي لا تلتزم زوجته اللباس الشرعي, أترك صلاتك حتى تلتزم زوجتك اللباس الشرعي.
قال ابن العربي في أحكامه (1/292): (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يقوم به المسلم وإن لم يكن عدلا خلافا للمبتدعه الذين يشترطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العدالة).
(وكل أحد عليه فرض في نفسه أن يطيع, وعليه فرض في دينه أن ينبه غيره على ما يجهله من طاعة أو معصية).
وقال حذاق أهل العالم (1): 1- تفسير القرطبي (6/452), أنظر تفسير ابن الجوزي (زاد المسير 2/242). ليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا , وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهي بعضهم بعضا , واستدلوا بالآية (كانوا لايتنا هون عن منكر فعلوه) يقتضي اشتراكهم في الفعل, وذمهم على ترك التناهي.
وقال الجصاص(1):ـ 1- أحكام الجصاص (2/023).
(فرض النبي ص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, مجرى سائر الفروض في لزوم القيام به مع

التقصيرفي بعض الواجبات, ولم يدفع أحد من علماء الأمة وفقهائها سلفهم وخلفهم وجوب ذلك إلا قوم من الحشو وجهال أصحاب الحديث).
3: وهناك فئة ثالثة تحتج بالآية:
(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون)
ولقد خشي أبو بكر على الناس أن يفهموا أنهم ليس عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا صلحوا (فقام فحمد الله, وأثنى عليه,ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية:(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) إلى آخر الآية, وأنكم تضعونها على غير موضعها, وإني سمعت رسول الله ص يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه, أوشك أن يعمهم الله بعقابه)(1). 1- رواه أحمد في المسند (1/2) وأصحاب السنن الأربعة, وابن حبان في صحيحه.
ورواية الترمذي: إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب (1).ـ 1- جامع الترمذي (11/181) وقال: حسن.
وفي الترمذي(1):ـ 1- قال الترمذي: حديث حسن غريب, أنظر الجامع الصحيح (11/081). عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية, قال: أية آية؟ قلت: قوله: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم).
قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا , سألت عنها رسول الله ص فقال: بل ائتمروا بالمعروف, وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا , ودنيا مؤثرة, وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك, ودع العوام فإن م ن ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم .
قال عبدالله بن المبارك وزادني غير عتبه, قيل يا رسول الله: أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم.

يقول ابن العربي(1):ـ 1- أحكام القرآن لابن العربـي (2/207). (هذه الآية من أصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أصل الدين وخلافة المسلمين).
قال الجصاص(1):ـ 1- أحكام الجصـاص (2/023). (ثبـت بما قدمنا ذكره من القرآن والآثـار الـواردة عـن النـبي ص وجوب فرض الأمر بالمعروف, والنهي عـن المنكـر, وب ينـا أنـه فـرض علـى الكفايـة -إذا قـام بـه البعـض سقط عن الباقين- وجب أن لا يختلف في لزوم فرضه الـبر والفـاجر, لأن تـرك الإنسـان لبعـض الفـروض لا يسقط عنه فروضا غيره, ألاترى أن تركه للصـلاة لا ي سقط عنه فرض الصوم وسـائر العبـادات, فكـذلك مـن لم يفعل سائر المعروف, ولم ينته عن سائر المنـاكير, فإن فرض الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر غيـر ساقط عنه.
وقول الجصاص: فرض على الكفاية هذا في زمنه حيث يظللهم شرع الله, ويقوم فيهم خليفـة بحكـم اللـه مـع بعض المخالفات الشخصية من الأمراء, أما اليـوم فقـد ضاع دين الله وانتهكت حرماته وتعديت حدوده, فأصبح العمل لرفع راية لا إله إلا اللـه فـوق المجتمـع فريضـة عين على كل مسلم ومسلمة.

فتاوى السلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
إن المؤمن ليقف واجما إزاء فتاوى الفقهاء التي تضع هذا الركن في مكانه الصحيح من الإسـلام, وإن القلـب ليرتاح إلى هذه الفتاوى لأنه إن ضاع هـذا الركـن فقـد ضـاع الإسـلام كلـه, لإنـه الحـارس الأميـن لحصـن هـذا الـدين, وعنـدما يغيـب الحـرس ت دك الثغـور, ويهلـك العباد, وتضيع البلاد, ويعم الفساد فـي الأرض, وصـدق الله العظيم: (ولـو لا دفـع اللـه النـاس بعضـهم ببعـض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين).
أي إن مـن فضـل اللـه ذلـك النـاموس الإلهـي بإبقـاء المدافعـة بيـن الأبـرار والفجـار, وقيـام الحـرب بينهـم بدون ذلك فـإن الباطـل يعـم الأرض وتفسـد البشـرية, وكذلك فإن الإنسـان يتضـاءل وهـو يـرى تقاعسـه إزاء هــذا الــواجب العظيــم, ويــدرك القلــب مــن أعمــاقه التقصير الكبير حيال هذا الأمر.

وإنني أغمض عيني ليتراءى لي شخوص الذي حموا هذا الدين في حقبات التاريخ المتطاولة, ويرى رخص الحياة لديهم ترى من بعيد إبراهيم عليه السلام, وكذلك الأنبياء من بعده عليهم الصلاة والسلام, وأصحاب الأخدود, والسحرة, وأصحاب رسول الله ص من وراء قائدهم, ثم مرورا بابن حنبل, وابن تيمية, وسيد قطب, ومروان حديد وعبد العزيز البدري لقد رتب الرسول ص مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحديث(1) 1- رواه مسلم, أنظر رياض الصالحين(301). (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).
فلا يجوز استعمال اللسان حيث أمكن السنان لإزالة المنكر, ولا يجوز الإنكار القلبي حيث أمكن الزجر والتوبيخ والتذكير بالله, قال الحنفية(1):ـ 1- هذه الفتاوى أحكام القرآن للجصاص (2/713ـ 813). إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما حالان:
حال يمكن فيها تغيير المنكر وإزالته ففرض على من أمكنه ذلك بيده أن يزيله.
وإزالته باليد تكون على وجوه منها: أن لايمكن إزالته إلا بالسيف, وأن يأتي على نفس فاعل المنكر فعليه أن يفعل ذلك, كمن رأى رجلا قصده أو قصد غيره بقتله, أو بأخذ ماله أو قصد الزنى بامرأة أو نحو ذلك, وعلم أنه لاينتهي إن أنكره بالقول, أو قاتله بما دون السلاح فعليه أن يقتله لقوله ص: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإذا لم يمكنه تغييره بيده إلابقتل المقيم على هذا المنكر فعليه أن يقتله فرضا عليه وإن غلب في ظنه أنه إن أنكره بيده ودفعه عنه بغير سلاح انتهى عنه لم يجزله الإقدام على قتله, وإن لم يمكن إزالة هذا المنكر إلا بأن يقدم عليه بالقتل من غير إنذار منه له فعليه أن يقتله, ذكر ابن رستم عن محمد بن الحسن: في رجل غصب متاع رجل وسعك قتله حتى تستنقذ المتاع وترده إلى صاحبه.
قال أبو حنيفة: في السارق إذا أخذ المتاع وسعك أن تتبعه حتى تقتله إن لم يرد المتاع, وقال: في اللص الذي ينقب البيوت يسعك قتله.

وقال أبو حنيفة(1).. في رجل يريد قلع سنك قال فلك أن تقتله إذا كنت في موضع لا يعينك عليه الناس, وهذا الذي ذكرناه يدل عليه قوله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله), وكذلك قلنا في أصحاب الضرائب والمكوس التي يأخذونها من أمتعة الناس أن دماءهم مباحة, وواجب على المسلمين قتلهم, ولكل واحد من الناس أن يقتل من قدر عليه منهم من غير إنذار منه له ولا التقدم إليه بالقول.

قال الجصاص(2).ـ 1,2- أحكام القرآن للجاص (2/813). وكذلك حكم سائر من كان مقيما على شيء من المعاصي الموبقات مصرا عليها مجاهرا بها فحكمه حكم من ذكرنا في وجوب النكير عليهم بما أمكن, وتغير ما هم عليه بيده, فإن لم يستطع فينكر بلسانه, وعلى هذا فليس خرق النظام في المجتمع المسلم عمل سهل يقترفه مرتكبه فيجد الأيادي التي تربت عليها.

إن انتهاك الحرمات, وتعدي حدود الله أمر يهدد الحياة الإجتماعية, ويقطع حبل الأمن فيها, ومن هنا فإن لم ت ع ال ج بدواء ناجع فإن الأمور تتميع وتضيع القيم, ويسود الطغاة, ولقد صور رسول الله ص المجتمع تصويرا دقيقا بحيث لو سمح لواحد أن يعيث فيه فسادا فإن المجتمع كله يتعرض للإنهيار والدمار.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ص قال: مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها, وبعضهم أسفلها, وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا , ولم نؤذ من فوقنا, فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا (1)ـ 1- رواه البخاري أنظر: رياض الصالحين باب في الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر ص(401) ومعنى القائم في حدود الله: الذب عن المحارم الواقع فيها: مرتكبها حدود الله ما نهي الله عنه, استهموا: اقترعوا, رواه البخاري.

2- قول الله عزوجل:

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)
(البقرة: 471)
هذه الآية نزلت في اليهود, وأهل الكتاب الذين كتموا صفة النبي ص في التوراة, وحرفوها حتى يصدوا الناس عن دين الله.
إلآ أن القاعدة الأصولية: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فلفظ الآية عام في كل من كتم دين الله, وكتابه, وشرعته.
وقد قال ابن عباس رضي الله عنه(1) 1- تفسير التحرير والتنوير لمحمد طاهر عاشور (2/56). كلمة الفصل في مثل هذه الآيات, وتعتبر القاعدة الأساسية في مثل هذا الموضوع (كل ما ذم الله أهل الكتاب عليه فالمسلمون محذرون من مثله).
يقول الفخر الرازي(1):ـ 1- تفسير الرازي (5/03) طبعة (23) مجلدا . (دلت الآية على تحريم الكتمان لكل علم في باب الدين يجب إظهاره).
يقول القرطبي(1):ـ 1- تفسير القرطبي (2/612). (هذه الآية وإن كانت في الأحبار فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها).
فعلى الذين يقعدون عن العمل لدين الله, لايحركون ساكنا , ولا يأمرون بالمعروف, ولا ينهون عن منكر أن يعلموا مصيرهم الذي ينتظرهم عند خالقهم الذي لا يكلمهم ولا يزكيهم وأعدلهم عذابا أليما .
3- قوله عزوجل:
(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه, فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون)
(آل عمران: 781)
هذه الاية كسابقتها تتكلم عن أهل الكتاب,إلا أن المفسرين يرون أنها عامة لهم ولغيرهم, والقرآن أشرف الكتب, قال الحسن وقتاده(1): 1- أنظر تفسير القرطبي (2/612), وتفسير الرازي (9/031), والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي, وأحكام الجصاص (1/421). هي في كل من أوتي علم شيء

من الكتاب, فمن علم شيئا فليعلمه, وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة, وقال علي بن أبي طالب(1):ـ 1- أنظر تفسير القرطبي (2/612), وتفسير الرازي (9/031), والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي, وأحكام الجصاص (1/421). ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا.
وقال أبو هريرة(1):ـ 1- أنظر تفسير القرطبي (2/612), وتفسير الرازي (9/031), والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي, وأحكام الجصاص (1/421). لو لا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية.
وقال محمد بن كعب(1):ـ 1- تفسير القرطبي (2/403). لا يحل لعالم أن يسكت على علمه, ولا لجاهل أن يسكت على جهله, حكي أن الحجاج(1):ـ 1- تفسير الرازي (9/031). أرسل إلى الحسن وقال: ما الذي بلغني عنك؟ فقال: ما كل الذي بلغك عني قلته ولا كل ما قلته بلغك.
قال: أنت الذي قلت إن النفاق كان مقموعا فأصبح قد تعمم وتقلد سيفا , فقال: نعم, فقال: وما الذي حملك على هذا ونحن نكرهه؟ قال: لأن الله أخذ مثياق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولايكتمونه, وعلى هذا فهذه الآية وما قبلها موجبة لإظهار علوم الدين وتبينه للناس سواء من جهة النص أو جهة المدلول (المعنى), وما يستنبط من النصوص من أحكام, ولا تقبل توبة كاتم العلم إلا بالتبيين بدليل قول الله عزوجل.
(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللا عنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)
(البقرة 951-061)
فبينت الآية أن توبة كاتم العلم تقبل بشرط واحد إذا بين ما علمه الله إياه من الهدى, ولفظ الهدى شامل لكل العقيدة والشريعة سواء جاءت في القرآن أو السنة.

وبيان الحق اليوم يحتاج إلى جهود ضخمة ينـوء لحملهـا الفرد الواحد, ومن هنا لا بد من التعاون علـى إظهـاره بأن تتكاتف جهود المخلصين, وتنظم طاقتهم, وينسـق بين أعمالهم حتى تؤتي ثمارها.
فعلـى القاعـدين عـن العمـل لـدين اللـه أن يحـذروا, ويشـفقوا علـى أنفسـهم مـن أن تمسـهم لعنـة اللـه, والملائكـة ودواب الأرض وهوامهـا, عليهـم أن يبـادروا بمحاولة إظهار الخير, وأن يستبقوا الخيـرات, ويـأمروا بـالمعروف وينهـوا عـن المنكـر حـتى ينـالوا ثـواب الصادقين المجاهدين -إن شاء الله-.

طريقك أيها الداعية
وأما العزلة فإنما تكـون فـي المجتمـع الجـاهلي عزلـة شعورية فقط ولا يمكن أن تتم العزلة العملية بادئ ذي بدء بالنسبة للدعوة, وأما العزلـة العمليـة فإنهـا لا تتـم إلابعد قيام المجتمع المسلم الذي تهيمن عليـه شـريعة الله, وينفذ فيه حكمه وسلطانه, وهنا تكـون المفاصـلة العملية, ولـو فكـرت الـدعوة فـي مراحلهـا الأولـى أن تعـتزل المجتمـع الجـاهلي, وتعيـش فـي الصـحاري والكهوف فإن هذا يؤدي إلى تجمد الدعوة, وبعدها عـن الناس الذين يمثلون المـادة الخـام للـدعوة الإسـلامية, ولهذا فإن رسول الله ص بقي فـي مكـة ولـم يسـكن في كهف من الكهوف في جبال مكة, ولـم يـترك مكـة لطواغيت الكفر, بل بقي يبلـغ الـدعوة ويصـلي صـلاته في فناء الكعبة التي يحيط بها وبداخلها (063) صنما .
لكن على الداعية وهو يخوض معركتـه مـع الجاهليـة أن يستصـحب فـي أعمـاقه معرفـة عظمـة اللـه وقـدرته, ويشعر تجاه النـاس الـذي يـؤذونه بالشـفقة والرحمـة, وما أصدقه من تعـبير: (اللهـم اغفـر لقـومي فـإنهم لا يعلمون).
إن الخـروج مـن المجتمـع الجـاهلي, والفـرار منـه أمـر أسهل على الداعية من القضاء بين عتـاة الكفـر الـذين قدت قلوبهم من صخر, روى الإمام أحمد عن ربيعة بن عبـاد: رأيـت النـبي ص فـي الجاهليـة فـي سـوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولـوا لا إلـه إلآ اللـه تفلحوا , والناس يجتمعون عليه, ووراءه رجل أحول ذو غـديرتين -جـديلتين- يقـول: إنـه صـابيء كـاذب, يتبعـه

حيث ذهب فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب)(1).
1- مختصر ابن كثير للصابوني (3/786).
وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: (بينما رسول الله ص يصلي عند البيت, وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس, فقال أبو جهل: أي كم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمدإذا سجد) فانبعث أشقى القوم فأخذه, فلما سجد النبي ص وضعه بين كتفيه, قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض, وأنا قائم أنظر, لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ص, والنبي ص ساجد لا يرفع رأسه, حتى انطلق إنسان إلى فاطمة, فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تسبهم, فلما قضى النبي ص صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم, وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات, فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك, وخافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام, وعتبه بن ربيعة, وشيبة بن ربيعة, والوليد بن عقبة وأميه بن خلف,وعقبة بن أبي معيط (1). 1- الجواب الصحيح لمن بد ل دين المسيح لابن تيمية ص (612), أنظر مختصر مسلم (2/37) رقم الحديث (7611).
وذكر السابع لم أحفظه, فو الذي بعث محمدا بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر, ثم سحبوا إلى القليب -قليب بدر-, وعلى هذا فلم يخرج رسول الله ص من مكة بل بقي صامدا أمام الجاهلية يحطم عقائدها بالقرآن ويدمر كيانها بالتنظيم الذي يأخذ أفراده من هذا الوسط الجاهلي الصاخب.
يقول الأستاذ سيد قطب في مقدمة سورة الرعد (5/16): (إن الجيل يعيش في جاهلية كالتي نزل القرآن ليواجهها, بينما هم لا يتحركون بهذا القرآن في مواجهة الجاهلية كما كان الذين تنزل عليهم القرآن أول مرة يتحركون...., وبدون هذه الحركة لم يعد الناس يدركون من أسرار هذا القرآن شيئا , فهذا القرآن لاي در ك أسراره قاعد, ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به, ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلوله ووجهته), ولذا فقد (إنماعت) وذبلت في حس

الجيل, وتصوره مدلولات القرآن وأبعاده الحقيقية, وانحرفت في حسه مصطلحاته عن معانيها.

دعائم الداعية
لا بد للداعية من دعائم ثلاثة:
1- العلم.
2- الرفق.
3- الصبر.
أولا : أما العلم فهو ضروري للداعية لأنه ينقل دين الله, فلا يجوز له أن ينقل كلمة ما لم يتأكد من صحتها: (ولا تقف ما ليس لك به علم, إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).
لأن العابد الجاهل كالعالم الفاجر سواء بسواء كلاهما ضرره أكثر من نفعه, وقد نهى رب العزة عن إتباع الظن وذم الظن في مواطن كثيره من كتابه العزيز: (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئا).
وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ص يقول: إن كذبا علي ليس ككذب على أحد , فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (1)ـــ 1- مختصر مسلم (2/252) الحديثان (2681, 3681).
وعن مسلم عن المغيرة مرفوعا : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (1). 1- مختصر مسلم (2/252) الحديثان (2681, 3681).
قال عمر بن عبد العزيز(1)ـ 1- فتاوي ابن تيمية (82/631ـ 82/771). م ن ع بد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح, وعن معاذ: العلم إمام العمل, والعمل تابعه لأن الله عزوجل لا يقبل عملا إلآ بشرطين: أن يكون خالصا وصوابا , والخالص: أن يكون صادقا لوجه الله لا يخالطه رياء ولا شرك, وصوابا : موافقا للسنة, وهذا معنى قوله تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) كما قال الفضيل بن عياض: وهو كذلك معنى الآية:
(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا) (النساء:)

فإسلام الوجه: هو الإخلاص, والإحسان: أن تعمل العمل موافقا للشرع, وهو معنى دعاء عمر بن الخطاب(1) 1- مجموع الفتاوى لابن تيمية (82/671).
رضي الله عنه : (اللهم اجعل عملي كله صالحا , واجعله لوجهك خالصا , ولا تجعل لأحد منه شيئا).
وعن سعيد بن جبير(1): 1- مجموع فتاوى ابن تيمية (82/631ـ 82/771). لا يقبل قول وعمل إلا بنيه, ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.
وعن الحسن البصري: لا يصلح قول وعمل إلا بنية, ولا يصلح قول وعمل إلا بموافقة السنة.
ثانيا : أما الرفق فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة فيه: ففي صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ص يقول: من ي ح رم الرفق ي ح رم الخير (1). 1- مختصر صحيح مسلم (2/432).
وروى مسلم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه, ولا ينزع من شيء إلا شانه , يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق, ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف (1). 1- مختصر صحيح مسلم (2/432).
وهذا معنى قوله تعالى:
(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)
(النحل: 521)
وقلوب البشر كالزجاج رقيقة قد تكسرها الكلمة الفظة الغليظة, فتنفر من الداعية, ولا تعود إلى الإنجبار والإلتئام, وكم من كلمة رقيقة دخلت إلى القلوب فهزتها, وحركتها وأيقظتها من سباتها, وصدق الله العظيم:
(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)
(آل عمران: 951)
ثالثا : الصبر, لأن الداعية لا بد أن يتعرض للأذى, وهو يقابل الناس بما يخالف معتقداتهم, وآرائهم, وينقص مبادئهم, ويسفه أحلامهم, ولذا فقد ورد في النظم الكريم على لسان لقمان لابنه وهو يعظه:

(يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)
(لقمان: 71)
وكأن النص المبين يشي أن الإيذاء ملازم للأمر بالمعروف فلا بد من العمل, والصبر وصية الله إلى الرسل أجمعين عليهم الصلاة والسلام: (ولربك فاصبر).
(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)
(الأحقاف: 53)

لا بد من هذه الأمور الثلاثة للأمر والنهي
العلم قبل الأمر والنهي, الرفق مع الأمر والنهي, الصبر بعد الأمر والنهي.
وقد جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا , ذكره القاضي أبي يعلى في المعتمد(1):ـ 1- مجموع الفتاوى لابن تيمية (82/731). (لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه, رفيقا في ما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه, حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه).
أجر العاملين:
طوبى للدعاة:(وطوبى: الجنة, وقيل هي شجرة فيها)(1). 1- النهاية في غريب الحديث (3/041).
ففي صحيح مسلم: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء , وزاد أحمد قالوا يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: النزاع من القبائل , وفي رواية الترمذي: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي , وفي رواية أحمد والطبراني: قوم قليل في قوم سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .